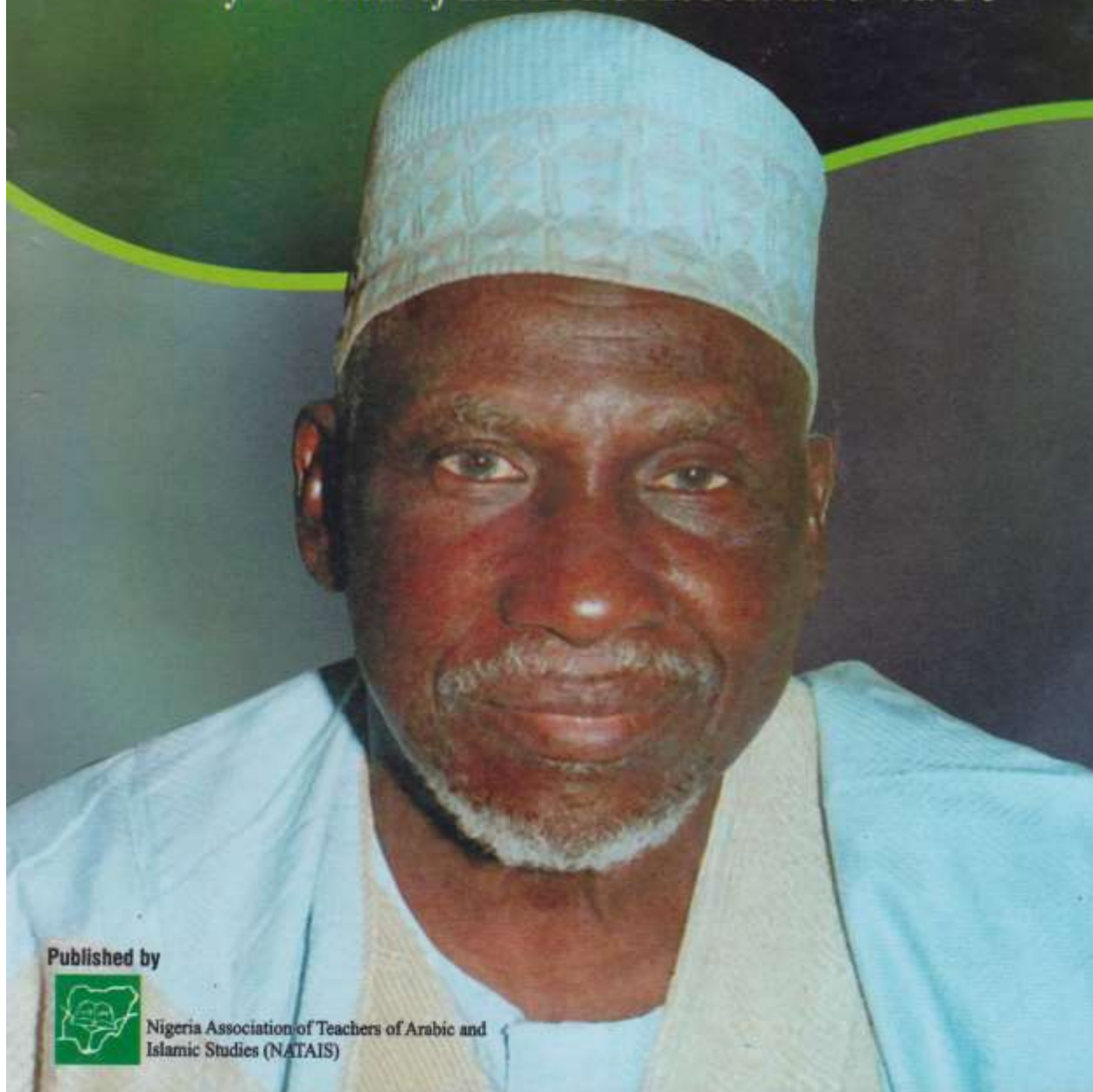


TOPICAL ISSUES IN ARABIC AND ISLAMIC STUDIES:

Essays in honour of LATE PROFESSOR A.A GWANDU



Published by



Nigeria Association of Teachers of Arabic and
Islamic Studies (NATAIS)

CHAPTER TWENTY FIVE

قننة عيسى ألي أبوبكر لبروفيسور على أبوبكر غوندو: دراسة تحليلية إسلامية

بقلمي

أ.د. بدماصي لثري يوسف

قسم الأديان، جامعة إلورن، إلورن- نيجيريا. 08058759683 yusufbadmas@yahoo.com

و

د. لطيف أونيرتي إبراهيم

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن- نيجيريا 08082863111 Oniretill@yahoo.com

مقدمة

كان البروفيسور غوندو من أعلام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا الذين نالوا بشخصياتهم القذة إعجاب الناس، وأثاروا بانحازاتهم المبهرة الجليلة عواطف الشعراء فنظموا عنهم القصائد. فهذا البحث يدرس القصيدة التي هنا بها عيسى ألي أبوبكر البروفيسور غوندو عندما تم تعيينه مديرا لجامعة عثمان بن فودي إرازو لمكانة غوندو المرموقة بين أمة الإسلام في نيجيريا عامة وفي المجتمع الأكاديمي بالجامعة خاصة. وعليه نتذوق القصيدة تذوقاً أدبياً يكشف عن قيمتها الفنية ويبين معانيها ليسهل فهمها للقارئ.و لذلك بدأنا البحث بنبذة يسيرة عن حياة صاحب القصيدة وعن حياة المهني قبل الشروع في تحليل القصيدة تحليلاً أدبياً، وقمنا بتقييم الأفكار الواردة في القصيدة وفقاً لمبادئ دين الإسلام الذي ينتمي إليه الشاعر وغوندو عقيدة وسلوكاً، ثم تأتي الخاتمة.

نبذة عن حياة الشاعر

هو عيسى ألي بن أبي بكر، ولد في مدينة إلورن ، عاصمة ولاية كوارا نيجيريا سنة 1953م. تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيفي، لاغوس، حيث حصل على الشهادة التوجيهية (الثانوية) عام 1971م. ودرس لمدة سنة، بعد تخرجه من المركز، في مدرسة نور الإسلام بأيجيو، ولاية أوشن، نيجيريا، قبل انتقاله إلى مدرسة دار العلوم لجبهة العلماء والأئمة بمدينة إلورن سنة 1974م وبقي فيها مدرساً إلى عام 1978م ثم التحق بجامعة بايزو كئو، حيث نال شهادة الدبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية والهُوسا سنة 1979م والتحق بعدها بجامعة إلورن، نيجيريا، حيث حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية سنة 1982م، وقام بعد ذلك بالخدمة الوطنية سنة كاملة.

وبعدئذ انضمّ شاعرنا في سلك التدريس بجامعة عثمان بن فودي بصكوتو حيث سجّل لدرجة الماجستير في اللغة العربية وحصل عليها عام 1985م. وظلّ يباشر عمله حتى التحق بجامعة الملك سعود بالرياض في المملكة العربية السعودية لنيل الدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها عام 1991م. وعاد إلى جامعة عثمان بن فودي للاستمرار في العمل. وفي عام 1994م انتقل منها إلى شعبة اللغة العربية بقسم الأديان، كلية الآداب، جامعة إلورن محاضراً إلى وقت كتابة هذه السطور. وقضى عطلة الإجازة السبئية في جامعة ليغون بغانا عام 2003 - 2004 ثم عاد إلى جامعة إلورن، وهو حالياً مدير مركز المعاهد التابعة للجامعة.¹

نبذة عن حياة غوندو

هو علي أبوبكر، ولد بمدينة غوندو في 20 يناير عام 1941م ونشأ تحت كنف عمه أبوبكر، أخذ بعض سور القرآن من مالم الشيخ، وقرأ الباقي على ابنه مودبو. التحق بالمدرسة الابتدائية عام 1949م وتخرّج منها عام 1953م، وحضر المدرسة المتوسطة بين 1953م و1955م ثم كلية بروا بزاريا للدراسات الثانوية بين 1956م و1960م، وكلية الشريعة عام 1961م والتحق بعد التخرّج منها بجامعة أبوبكر تفاقوا بليوا بزاريا، وهو من الفوج الأول وتخرّج منها عام 1966م بدرجة ممتازة، ونال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بجامعة دورحم بإنجلترا عام 1977م. ورجع إلى نيجيريا لياشر عمل التدريس والبحث بجامعة صكتو منذ العام 1987م وأصبح الأستاذ الدكتور في الدراسة الإسلامية عام 1995م.²

مناسبة القصيدة:

نظم الشاعر هذه القصيدة ترحيباً بالأستاذ الدكتور علي أبوبكر غوند عندما عين مديراً لجامعة عثمان بن فودي، صكتو في أكتوبر 1989م.³ فالعرض من قرض القصيدة إذن هو المدح، وفيها تلميح إلى بعض شكاوى بخصوص قضايا يتوقّع من المدير الجديد القيام بمعالجتها لدفع عجلة الجامعة إلى الأمام.

عرض نص القصيدة:

- 1- أهلاً وسهلاً بصاحب الفضل ** ذي العلم والمكـرمات والعـادل
- 2- لما أتاك الزمام فرحنا ** أن ملأكوا الأمر طيب الأصل
- 3- لقد فشا عنك قولهم رحل ** يتبع ما قرّوه بالقـل
- 4- ينفذ الخطّة التي رسمت ** لا يتوانى بضحة العقـل
- 5- لا يعرف السأم في مساعيه ** في العزم أمضى حداً من النـصل

- 6- إدارة الجامعات جامحة ** تنقاد طوعا لحيد الشغل
- 7- يصغى إلى الناس كي يبيت لهم ** عوننا ويحميهم من الختل
- 8- تقدم العلم واحب حتم ** على جليف الشيباب والكهل
- 9- جامعة ملوها جهابذة ** ليس لهم في العلوم من مثل
- 10- أمخى رجال في بذل ما عرفوا ** في نصرة الحق فرحة الرسل
- 11- أقدمهم في القتال راسخة ** لمحوجش الفساد والجهل
- 12- ترى لهم في الكسلام سابقة ** لذنوحينا كإبرة النحل
- 13- كذاك طلالهم إذا حيروا ** صالوا غداة الكلام كالشبل
- 14- جامعة شيدت دعائمها ** على التقى والصلاح والفصل
- 15- بأرض عثمنا العظم لها ** أجل ذكر في الحيزن والشبل
- 16- سموك (غوند) مديرها فغدت ** مزدانة العطف يا أحبا النبل
- 17- لقد جباك الإله مقدرة ** لجعل كل الرجال كالأهل
- 18- يشع نور بأفقنا أملا ** سناه فوق الدروب والسبل
- 19- يراه من أنصف الحقيقة لا ** يأخذ حد الأمر بالهزل
- 20- لنا شكاوى كثيرة فإذا ** ما عبدوها فوفرة الرمل
- 21- ما هي إلا طواري الزمن ** فعن قريب تزول كالطلل⁴

الأفكار الجزئية في القصيدة:

- 1- في البيت الأول والثاني رحب الشاعر بالأستاذ الدكتور غوندو إلى منصب مدير جامعة عثمان بن فودي بصكوتو، ومدحه بأنه صاحب الفضيلة والعلم والمكرمات، وأن الناس بما فيهم الشاعر قد سرهم خير تعيينه مدير الجامعة لأنه من قبيلة طيبة وأسرّة عريقة مما يؤكد أهليته للمنصب.
- 2- ومن البيت الثالث إلى الثامن حكى الشاعر أقوال الناس عن المدير الجديد أنه ملتزم يحترم المواعيد ويدبر الأمور بناء على الإستراتيجيات المتفق عليها بشكل فعال وبدون تردد، ويطبق الإتفاقيات على أحسن ما يرام، لا يردعه عن تحقيق الأهداف أي تحد لأن له عزما قاهرا. إن تدبير نظام الجامعة أمر صعب وشاق إلا أنه سهل ويسير لمن تفرغ لحمل مسؤولية إدارته مثل

غوندو، لأنه يقبل المشورة من الناس ويلتمس لهم العذر، كل هذا جعل الناس مقتنعين أن الجامعة تزدهر وتتقدم في تحقيق أهدافها كقلمة علمية لكون مديرها الجديد جبا لجميع عملها فيتعاونون معهم في رفع شأنها.

3- ومن البيت التاسع إلى الثالث عشر مدح الشاعر أساتذة الجامعة أنهم متمكنون في العلوم، لا نظير لهم في ذلك وأنهم حبراء في محاربة الفساد والجهل وأنهم فصحاء يداوون أمراض القلوب بسحر البيان. وأضاف إلى ذلك أن طلابهم مثلهم في الفصاحة.

4- ومن البيت الرابع عشر والخامس عشر وصف الشاعر الجامعة والمدينة التي أسست فيها، وصف الجامعة أنها أسست على التقوى وحسن الخلق والشرف لأنها تقع في المدينة التي اتخذها الشيخ عثمان بن فودي مقر دولته الإسلامية، تلك الدولة العادلة التي قاومت الكفر والفساد والجهل وأقامت قواعد الدين والبر والعلم والحضارة.

5- ومن الباب السادس عشر إلى التاسع عشر عاد الشاعر إلى تهنة غوندو على توليته منصب مدير جامعة عثمان بن فودو وتحقيق حلمه، وأكد أن من كان منصفاً يرى أن غوندو إنسان يوثق عروة الأخوة بين الناس فيسود بذلك السلام والمحبة، مما جعل أهل الجامعة يتطلعون إلى حياة طيبة في عهده.

6- وفي البيتين العشرين والواحد والعشرين الأخيرين يُشعر الشاعر المدير الجديد أن هناك قضايا كثيرة تُشغل بال مجتمع الجامعة وسُرفِع إليه، وهي ناتجة عن الأحوال السائدة في البلاد حيثئذ، وأنه ستحسن الحال بحسن تنظيم.

الفكرة العامة في القصيدة:

فالقصيدَة عبارة عن الترحيب بالأستاذ الدكتور غوندو إلى منصب مدير جامعة عثمان بن فودي بصكته وتمنته على التعيين والتأكيد على أهليته بالمنصب والأمل في نجاحه وسعادة مجتمع الجامعة لأنه اكتمل في شخصيته كل أوصاف الرئيس الناجح.

العاطفة ودورها في القصيدة:

إذا أمعنا النظر في القصيدة أدركنا أن السرور والبهجة والأمل في المستقبل الزاهر هي العواطف الدافعة للشاعر إلى قرضها، وتعتبر هذه العواطف صادقة إلى حد ما لأنه إذا تم تعيين إنسان في منصب يناسبه ويستحقه يبعث ذلك في قلوب الناس الأمل وينشر في نفوسهم الشعور بالإرتياح فيوحي لمن له موهبة شعرية قول الشعر ولذلك يقول الشاعر:

لما أتاك الزمــــــــام فرحنا ** أن ملكوا الأمر طيب الأصل

الأخيلة في القصيدة:

إذا كان الخيال هو نافذة العاطفة⁵ التي عبرها تصوّر العاطفة حق تصوير ما يدور في خلد الشاعر حتى يجعل السامع أو القارئ للشعر أن يفعل مع الشاعر ويشاركه في عاطفته فإن الشاعر في هذه القصيدة قد أحسن التعبير عن عاطفته، فلننظر كيف تخيل الشاعر أن منصب مدير الجامعة دار دخلها غوندو أو حفل حضره فرجج به فيه، وذلك بقوله:

أهلا وسهلا بصاحب الفضل ** ذي العلم والمكرمات والعدل

وكما تخيل المنصب حصانا أعطي لجامه لغوندو ليركبه ويقوده إلى حيث يشاء، وصوّر عزمه في تحقيق الإنجازات كشيء أحد من السيف، ونفخ في الإدارة روحا وصيرها إنسانا مطيعا لمن كان خبيرا بأمورها، وتخيل الفساد والجهل كأن لهما جيوشا يقاتلها أساتذة الجامعة الذين اعتبرهم الشاعر أبطالا، وفي مكان آخر جعلهم أسودا واعتبر طلابهم أشبالا في الصولة عند نشر العلوم بين الناس بدون أدنى قلق. وصوّر التقوى والصلاح والفضل كشيء محسوس صلب قام عليه بنيان الجامعة. ومن قرأ قول الشاعر:

يشع نور بأفقنا أملا ** سناه فوق الدروب والسبل

يشعر كأن أهل الجامعة كانوا في ظلمة دامسة وأشرق بقاع الجامعة نورا بتعيين غوندو مديرا للجامعة، وانكشفت بذلك ظلمة المشقة والتعب. وهناك أسرار بلاغية أخرى ضمّنها الشاعر قصيدته ليزيدها روعة وتأثيرا مثل الكناية في قوله: "يتبع ما قروره بالفعل" كناية على أنه إنسان منظم وقوله: "ينفذ الحطة التي رسمت" الذي يعني أنه ملتزم، وقوله: "لا يعرف السأم في مساعيه" الذي يعبر عن كونه مجيدا ومجتهدا. وفيه مجاز حيث استخدم الشاعر كلمة "رجال" لجمع الجامعة الذي تكون من رجال ونساء والعلاقة هنا جزئية، وقد اختار الشاعر هذه الكلمة في هذا السياق عن قصد تأكيدا على أهم جهابذة شجعاء.

موسيقى القصيدة:

القصيدة لامية الروي وهي في واحد وعشرين بيتا على مجزوء البسيط أجزائه: مستفعلن فاعلن مقاعيلن في كل شطر.

إن تنابع بعض الكلمات والحروف في القصيدة تعطي نغمات موسيقية تفرع الأسماع مثل تنابع الكلمتين المبدوءتين بالجيم والتين تنتهيان بالذال في بيت واحد، لنقرأ هذا البيت على سبيل مثال:

إدارة الجامعات جامحة ** تنقاد طوعا لجيد الشغل

كما تعطينا الكلمات المنكرة جرسا موسيقيا مطربا كما في قوله: أهلا وسهلا، واجب حتم، جامعة ملؤها جهابذة وغير ذلك. كما نلمس الجرس في وجود أربعة من حروف الحلق في عجز البيت مثل: "عونا ونحميهم من الختل" وقل في القصيدة موسيقى داخلي لقلة تكلف الشاعر بالمزينات البديعية.

قضية الالتزام الإسلامي في القصيدة

من الواضح أن الشاعر التزم بالقيم الإسلامية وتعاليمه في معظم أفكاره في القصيدة حيث ندرك أن ما أعجبه من المدح هو الأخلاق الفاضلة التي وصفه بها، وهي الفضل والعلم والكرامة والعدل والالتزام والوفاء بالعهد والجد وأخذ المشورة واحترام رأي الغير، والسعي في الإخاء بين الناس واحترامهم. وأسند كل ما امتلكه غوندو إلى موهبة وهبه الله إياها وهو واهب العطاء "... يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (سورة البقرة، الآية: 105) وليس ذلك لحول منه أو قوة. كما نجد الشاعر مقتصدا في مدحه لأساتذة الجامعة، يراهم من أهل العلم الذين قال الله فيهم: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (سورة فاطر، الآية: 28) لأنهم يعملون بعلمهم، وأعجبه من الجامعة أنها أسست في المدينة التي كانت رديحا من الزمن مقر الخلافة الإسلامية التي قام على رئاستها الشيخ عثمان بن فودي وكان أهلها مسلمين صالحين، ولعل ذلك هو ما حمل الشاعر أن يزعم أن الجامعة أسست على التقوى والصلاح.

إلا أنه يبدو أن الشاعر فقد الالتزام حين قال: "لما أتاك الزمام فرحنا" وقد قال الله في محكم تنزيله — "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ" [سورة القصص، الآية: 76] وإنما يكون الفرح للشهداء بعد موتهم.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿١٥٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٥٧﴾ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٨﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَثَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ (سورة آل عمران)

كذلك نرى أن الشاعر غلا في مدح أساتذة جامعة عثمان بن فودي حيث زعم أنه لا مثيل لهم في العلوم، وفي الحقيقة إن الله تبارك وتعالى وحده هو الأحد الوحيد الذي ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، وهو كذلك وحده المتصف بالعلم والكمال والجمال، والإنسان مهما أعطى من علم فنصيبه فيه قليل، ومهما برع أو مهر في فن فإنه عرضة للنقصان والعيب!

ثم إن هذا المدح يعتبر من باب التزكية التي قد لقي الله عنها وندد بها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. جاء في قوله تعالى:

﴿فَتِيلاً يُظْلَمُونَ وَلَا يَشَاءُ مِنْ يُرَكِّي اللَّهُ بِلِأَنفُسِهِمْ يُزَكُّونَ الَّذِينَ إِلَىٰ تَرَأَلِمَ﴾ (سورة النساء)

وفي تفسير هذه الآية ذكر ابن كثير حديثاً ورد في الصحيحين من طريق خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يثنى على رجل: فقال ويحك، قطعت عنق صاحبك. ثم قال: "إن كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة، فليقل: أحسبه كذا ولا يزكي على الله أحداً"⁶

الخاتمة

قد تناول هذا البحث دراسة القصيدة التي هتأ بها الشاعر عيسى أبوبكر ألي الأستاذ الدكتور علي أبوبكر غوندوا عند ما تم تعيينه مديراً لجامعة عثمان دن فودي، وقد نجح الشاعر - خلال القصيدة - في إبراز مكانة المهني العلمية والإدارية مما جعله أهلاً لتبوء منصب مدير جامعة عثمان دن فودي التي أسست بأرض الدولة الإسلامية التي أقامها المجاهد الكبير الشيخ عثمان بن فودي. ولا يخفى على القارئ الحصيف للقصيدة ما لشاعرنا من ملكة شعرية فائقة ومن قوة البيان البلاغية مما مكّنه لتنهته الأستاذ الدكتور شعر راق، ونظراً لهذه المقدرة الأدبية الفائقة وأصالة فكره وإبداعه فلا غرابة إذن أن يلقب عشاق الأدب العربي شاعرنا بـ "شاعر العجم"⁷.

هوامش

(1) إبراهيم، لطيف أونويري: "أثر العولمة في سبائيات عيسى ألي أبوبكر" في *IJOH*، مجلة كلية الآداب، جامعة إلورن، نيجيريا، العدد 2011م، ص.

2- Nura Abdullahi Wali: "Professor Abubakar Aliyu Gwandu and His Contribution to the Development of Islam" Unpublished Thesis submitted to Usmanu Danfodiyo University, Sokoto. 19 P4.

3- عيسى ألي أبوبكر: الرياض ديوان عيسى ألي أبوبكر، مركز عبد الله عمر نصيف الإسلامي الحيري، إلورن. 2005م، ص 84

4- المزمع نفسه والصفحة نفسها

5- تفسير ابن كثير، سورة النساء، آية 49.

- 6- أخبار الجامعة، الصحيفة الرسمية لأخبار جامعة ولاية كوارا، إصدار شعبة اللغة العربية، جامعة ولاية كوارا، الجمعة 18 من يناير 2013 م \ 6 من ربيع الأول 1434 هـ، المجلد 1، العدد 2.
- 7- إبراهيم، لطيف أونيريتي: "الشيخ آدم عبد الله الإلوري والشعر العربي في نيجيريا"، بحث قدمه لنيل درجة الليسانس في اللغة العربية بجامعة إلورون، إلورون، نيجيريا، ص 90

